

تفسير البحر المحيط

@ 163 @ قوله : كأن ، يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم ، ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر كأنه قال : ويوم نحشهم حشراً كأن لم يلبثوا ، ويصح أن يكون قوله : كأن لم يلبثوا في موضع الحال من الضمير في نحشهم انتهى . أما قوله : ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا فإنه كلام مجمل لم يبين الفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا ، ولعله أراد ما قاله الحوفي : من أن الكاف في موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى . فيكون التقدير : ويوم نحشهم يسرعون كأن لم يلبثوا ، وأما قوله : والكاف من قوله كأن ، يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم ، فلا يصح لأنَّ يوم نحشهم معرفة ، والجمل نكرات ، ولا تنعت المعرفة بالنكرة . لا يقال : إنَّ الجمل الذي يضاف إليها أسماء الزمان نكرة على الإطلاق ، لأنها إن كانت في التقدير تنحل إلى معرفة ، فهن ما أضيف إليها يتعرف وإن كانت تنحل إلى نكرة كان ما أضيف إليها نكرة ، تقول : مررت في يوم قدم زيد الماضي ، فتصف يوم بالمعرفة ، وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا . وأيضاً فكأن لم يلبثوا لا يمكن أن يكون صفة لليوم من جهة المعنى ، لأنَّ ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشهم . وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف يربط فقدره : كأن لم يلبثوا قبله ، فحذف قبله أي قبل اليوم ، وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز . فالظاهر أنها جملة حالية من مفعول نحشهم كما قاله ابن عطية آخرًا ، وكذا أعربه الزمخشري وأبو البقاء . .

قال الزمخشري : (فإن قلت) : كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما ؟ (قلت) : أما الأولى فحال منهم أي : نحشهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة . وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف يعني : فتكون حالاً ، وإما أن تكون مبينة لقوله : كأن لم يلبثوا إلا ساعة ، لأنَّ التعارف يبقى مع طول العهد وينقلب تناكراً انتهى . وقال الحوفي : يتعارفون فعل مستقبل في موضع الحال من الضمير في يلبثوا وهو العامل ، كأنه قال : متعارفين ، المعنى : اجتمعوا متعارفين . ويجوز أن يكون حالاً من الهاء والميم في نحشهم وهو العامل انتهى . وأما قول ابن عطية : ويصح أن يكون في موضع نصب للمصدر ، كأنه قال : ويوم نحشهم حشراً كأن لم يلبثوا ، فقد حكاه أبو البقاء فقال : وقيل هو نعت لمصدر محذوف أي حشراً كأن لم يلبثوا قبله انتهى . وقد ذكرنا أن حذف مثل هذا الرابط لا يجوز . وجوزوا في يتعارفون أن يكون حالاً على ما تقدم ذكره من الخلاف في ذي الحال والعامل فيها ، وأن يكون جملة مستأنفة ، أخبر تعالى أنه يقع التعارف بينهم . وقال الكلبي : يعرف بعضهم بعضاً كمعرفتهم في الدنيا إذا خرجوا من قبورهم ، وهو تعارف توبيخ وافتتاح ، يقول بعضهم لبعض

: أنت أضللتني وأغويتني ، وليس تعارف شفقة وعطف ، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال
القيامة ، كما قال تعالى : { وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُدْعَوْنَ مِنْهُمْ } .
وقيل : يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطأ والكفر . وقال الضحاك : تعارف تعاطف
المؤمنين ، والكافرون لا أنساب بينهم . وقيل : القيامة مواطن ، ففي موطن يتعارفون وفي
موطن لا يتعارفون ، والظاهر أن قوله : قد خسر الذين إلى آخره جملة مستأنفة ، أخبر تعالى
بخسران المكذبين بلقائه . قال الزمخشري : هو استئناف فيه معنى التعجب ، كأنه قيل : ما
أخسرهم . وقال أيضاً : وابتدأ به قد خسر على إرادة القول أي : يتعارفون بينهم قائلين
ذلك . قال ابن عطية : وقيل إنه إخبار المحشورين على جهة التوبيخ لأنفسهم انتهى . وهذا
يحتمل أن يكون كقول الزمخشري : يتعارفون بينهم قائلين ذلك ، وأن يكون كقول غيره :
نحشرهم قائلين قد خسر ، فاحتمل هذا المقدر أن يكون معمولاً ليتعارفون ، وأن يكون معمولاً
لنحشرهم ، ونبه على العلة الموجبة للخسران وهو التكذيب بلقاء الله . وما كانوا مهتدين :
الظاهر أنه معطوف على قوله : قد خسر ، فيكون من كلام المحشورين إذا قلنا : إن قوله قد
خسر من كلامهم ، أخبروا عن أنفسهم بخسرانهم في الآخرة وبانتفاء هدايتهم في الدنيا .
ويحتمل أن يكون معطوفاً على صلة الذين أي : كذبوا بلقاء الله ، وانتفت هدايتهم في الدنيا
. ويحتمل أن تكون الجملة كالتوحيد بجملة الصلة ، لأن من كذب بلقاء الله هو غير مهتد .
وقيل : وما كانوا مهتدين إلى غاية مصالح التجارة . وقيل : للإيمان . وقيل : في علم الله ،
بل هم ممن حتم ضلالهم وقضى به . .

{ وَإِمًّا زُرِّيَ نَسْكَكَ بَعُضَ السَّذَى نَعِدُهُمْ أَوْ نَدَوَوْا فَيَدْنُكَ }

فَاللَّيِّنَاتُ مَرَّجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّسَّةُ شَهِيدٌ عَلَايَ مَا يَفْعَلُونَ } : إما هي إن